خيولُ النومِ الهارِبة

قصص

رشاد علوه المهدي

منشورات الطيوب

سلسلة الكتاب الليبي

رشاد علوه المهدي

خيولُ النومِ الهاربة

قصة

الكتاب: خيولُ النومِ الهاربة

الكاتب: رشاد علوه

لوحة الغلاف:

من أعمال التشكيلي الليبي "جمال دعوب"

الناشر: موقع بلد الطيوب (منشورات الطيوب)

سلسلة الكتاب الليبي 50

www.tieob.com

info@tieob.com

2021

جميع الحقوق محفوظة لمنشورات الطيوب (موقع بلد الطيوب)

ولا يجوز طبع أو استنساخ أو تصوير أو تسجيل أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة كانت إلا بعد الحصول على موافقة (موقع بلد الطيوب)

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا إله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين)

[الأنبياء:87]

صدق الله العظيم

إلى كل من علمني حرفا؛

الى روح أبى العزيز المختلف، إلى أمي أمد الله في عمرها، الى أخوتي وأخو اتي، إلى زوجتي و أبنائي.

الى جميع اصدقائي وكل من عرفني وساعدني ليرى النورهذا العمل شكرا من الأعماق.

كلمة

تعرفت إلى "رشاد علوه" من خلال شبكة الإنترنت، وتحديداً مدونات بلوجر، عندما كانت التدوين نشطاً في ليبيا، وكانت تدويناته روح شفافة وأصيلة تظهر بوضوح من خلال ما يكتبه عبر مدونته (مرزق التي في خاطري).

هنا في هذا الإصدار الأول للصديق "رشاد" نلتقي مع مجموعة من نصوص أدبية تراوح بين (التدوين) و(القصة القصيرة). فهي تأخذ من التدوين حرية الانتقال والقفز إلى النهايات والتركيز على بعض التفاصيل، في ذات الوقت تتكئ على معرفة أدبية للاستفادة من القصة القصيرة في التصوير وبناء التدوينة القصصي.

"رشاد" يكتب من الجنوب الليبي، من (مرزق) التي ربما نسمع عنها ولم نزرها، لكني أعرف عنها الكثير من خلال مدونته، وستتعرفون عليها من خلال هذه المجموعة القصصية، التي تتخذ من مرزق والجنوب الليبي بصفة عامة، مسرحا لأحداثها وكذلك شخوصها الذين ينتمون إليها، وهم شخصيات تم التقاطهم بعناية وإدراك، من خلال نمط حياتهم وأعمالهم وتاريخهم.

هذه القصص أو التدوينات القصصية، إن جاز لي التعبير، تتصل تماما بالواقع، فخلف كل قصة ثمة عبرة يحاول الكاتب تقديمها للقارئ، لذا قد يختمها بجملة مباشرة تحيلك إليها. فقدمت القصص الكثير من القضايا التي تهم الجنوب، كعدم اهتمام مركز الدولة بالمناطق البعيدة عنه، إلى ضعف المستوى الاجتماعي والاقتصادي والخدمي، أيضا حالة الانفلات الأمني التي يعيشها سكان الجنوب الليبي.

في ذات الوقت، لامست هذه القصص الشعور الإنساني الرقيق، وبراءة الطفولة ومشاكساتها.

كما إنها قدمت بعضا من الصور والمشاهد التراثية، والشخصيات المميزة، ووثقت لبعض المعالم بمدينة مرزق. إن قراءة هذا المجموعة تجعلك على معرفة بمدينة مرزق ومعالمها.

ختاماً.. هي مجموعة ماتعة، قصصها بسيطة وعميقة، مارس الكاتب فيها دور الرّواي، ولم يكن أحد شخوصها، محافظا على عين لاقطة، وأذن واعية. فجاءت هذه القصص بلغة مباشرة، سهلة، مطعمة عند الحاجة بمفردات محلية، نجح الكاتب في تضمينها.

رامز رمضان النويصري

قووول

قصة تتكئ على شيء في الذاكرة مخزون

فما يتعالى صياح أولاد الحي، تسمعه من منعطف جامع الذكر شوط الكرة، إلعب، مد الكورة، بلاش أنانيه، ثم يتعالى الصراخ: قوووووووووول.

ويجرى أحد الأولاد خلف الكرة ليعيدها من بين النخلات فيلمح جدي يتكئ على عكازه متجه للمنزل بعد أن أقفل بقالته في شارع الحميدة، يعود مسرعا ومحذرا الجميع: أهربوا جدي جاي.

هو لا يطيق لعبهم أمام بيته لصراخهم وشيطنتهم وكثير ما يضربون الكرة على حوائط البيت التي رسم عليها طول العمر شقوقه، والتي تعمقها ضربات الكرة.

لذلك إذا أخطاء أحدهم وقذف الكرة عاليا وسقطت بالبيت، فلا يبقى أمامهم سوى خيارين لا ثالث لهما؛ إما تقع بيده ولن يحصلوا عليها إلا بعد زمن، أو أن يغامر أحدهم ويعتلي حيطان البيت ثم ينزل من الدرج ويمشي على رؤوس أصابعه تتنقل عينيه في كل الأرجاء حتى إذا رأى الكرة ينسل دون أن يلاحظ جدى، ثم يحمل الكرة ويعود عبر السلم مرة أخرى.

عندما اقترب الجد، كان أولئك الشياطين قد اختبأوا في كل مكان حتى يدخل المنزل ليعلوا صراخهم من جديد ثم: قووووووووووووول.. تعادل 2=2.

في هذه اللحظة يطل أخيه الأصغر: قالك بوى تعال.

ويستأذن ويدخل أحدهم مكانه ليلعب حتى لا يختل ميزان القسمة.

يأخذ الكيس والنقود من والده ويعدو نحو السوق من الجهة الغربية فهو أقرب، يصل دكان عمه "علي" يسلم يعطه النقود ويسلمه الكيس يزن له 2كيلو كاكاوية1،

يصبه في الكيس يعطيه بعض من الحلوى ويوصيه أن يوصل السلام لوالده، يضع الكيس على ظهره حتى يتمكن من العدو. عندما يصل يجد والدته وأبيه، وأخته وأخيه الصغير يلعبان، فيما براد الشاي يغلي على النار والطاوة2 لتحميص الكاكاوية تنتظر، يضع الكيس أمام أمه، يسلم عليك عمى "علي". ويركض ليعود لمكانه في الملعب ويستمر الصراخ ويبدأ رويدا في الخفوت مع اقتراب الشمس من الغروب بين الحين والأخر ينسل ليشرب كوب من الشاي بالنعناع ويملي جيوبه بالكاكاوية التي ما أن يصل حتى تفوح رائحتها في المكان يدخل يده في جيبه ويقسمونها، لكل عدد من الحبات ويعودوا لصراخهم وجريهم خلف الكرة وبين الفينة والأخرى يتعالى الصراخ: قووووووول!!!

1- الكاكاوية: الفول السوداني.

2- الطاوة: مقلاة تحميس الفول السوداني.

آخر الليل

هدوء يسود المكان، يعكره بين الفينة والأخرى هسيس نسيم ربيعي يتسرب من بين أشجار الأثل المتشابك، صوت المذياع وكأنه قارب في البحر يعلو وينخفض، وصوت "طلال مدّاح" يشدو (كم تذكرت سويعات الأصيل* وصدى الهمسات ما بين النخيل)، ثم يعلو التشويش، والصوت يختفي ليعود من جديد.

تنتهي الأغنية ويطل صوت المذيع صاحب الحنجرة الذهبية ("محمد مصطفى رمضان": هنا لندن)، وتدق ساعة (بيغ بن) معلنةً بدقاتها الشهيرة مباشرة أنها العاشرة وآخر نشرات الـ(بى بى سى)، يضبط المؤشر ويزيد من ارتفاع الأنتين ويعمل على توجيهه لكى يحصل على أفضل صوت.

ثم يقوم بسكب الشاي، تفوح منه رائحة النعناع، يبدأ في تصفح (مجلة العربي)، تشده استطلاعاتها التي تقوم بها في أرجاء الدنيا، وصفحة المناقشة، بينما عينيه تلتهم الاستطلاع وتتمعن بالصور، كانت أذنه تتابع ذلك الصوت وتلك القراءة السليمة واللغة العربية الرائقة، التي تنساب من المذياع، حتى أعاد المذيع الموجز، وودع المستمعين على أمل اللقاء.

أدار المؤشر متنقلاً صوب إذاعة (صوت العرب) من القاهرة، كان هناك برنامج للمسابقات من الجامعة، استمر في التهام المجلة، عندما انتبه أن بث القاهرة شارف على الانتهاء، انسابت آيات القرآن تترا بصوت (الصديق المنشاوي)، (صدق الله العظيم).

كان قد دخل تحت الغطاء وطنين ناموسة مزعجة ظلت لفترة تطن وتطن وتطن، تبحث عن ثغرة لكي تصل إليه، من تحت الغطاء أخرج يده نحو الراديو وضبط المؤشر على إذاعة الجزائر الوحيدة التي تبقى حتى ساعات الصباح الأولى، كانت ليلة خميس وبرنامج (من مدرجات

الجامعة) يقدم من خلالها محاضرات من جامعة الجزائر.

أدخل يده وسحب الغطاء بإحكام، وظل يتابع المحاضرة، لم يقطع المحاضرة إلا صوت المؤذن منادياً لصلاة الفجر، لم يدخل المنزل، ولكن سطل الماء قريب منه فأخذه واتجه به عدة خطوات، وجد صندوق شاي خشبي جلس عليه، توضأ وعاد لمكانه، صلى الصبح واندس من جديد في فراشه. عادت تلك الناموسة تطن وتطن وتطن، ولكنه أحكم سحب الغطاء، مد يده هذه المرة ليسكت الراديو ونام.

شعر بسخونة، أزح الغطاء، كانت الشمس تغطى المكان، أخد الفراش والمجلة والراديو، ودخل إلى السقيفة بالمنزل، وضع الفراش سريعا وهو يخشى أن يفر النوم من عينيه، واستلقى من جديد.

عند منتصف النهار: (رشاد).

- نعم!

كانت (أمي): كفاك نوم انهض.

- حاضر.

كالعادة نهض للإفطار، ثم فتح الراديو، معظم الإذاعات تبث القران تهيأ للذهاب لصلاة الجمعة، وعندما أعاد ضبط مؤشر الراديو (هنا لندن)، أعلنت بيغ بن بدقاتها المعهودة مباشرة، دقت دقة واحدة لا غير؛ الوحدة بتوقيت غرنتش.

عالم الظهيرة وكان الخبر الأول كالصاعقة (تم اليوم اغتيال المذيع الليبي "محمد مصطفى رمضان" برصاصة غادرة أردته قتيلا، وهو خارج من صلاة الجمعة في لندن قبل قليل) حالة من الوجوم سيطرت عليه وفى انتظار التفاصيل انا لله وانا اليه راجعون 11-ابريل 1980م.

الأيام الخوالي

فيما يتصاعد الدخان ليغشى عينيه؛ فيغمضهما ساحباً نفسين من غليونه ليشتعل ويوقد الحريق في صدره، ويقوم بنفثه مع آهة طويلة، وزفرة من أعماقه متذكراً الأيام الخوالي، يعيد قطعة الحطب لمكانها تحت إبريق الشاي الأخضر الذى تحول الى اللون الاسود الفاحم، بفعل الحريق النار أسفله.

التفت نحوي متسائلا: كيف تركت البلاد وراءك؟

لا رغبة لدي أن أفتح مخزون ذاكرته، وأيضا لا أريد أن أفسد على نفسى ساعة فسحة بعيداً عن هموم السياسة، وهموم البلد التي هو عادة ما يفر منها مع شروق أول شعاع للشمس، واعتدت أن ألحق به عند

المساء لنقضي معاً بمزرعته حوالى ساعتين بعيداً عن هموم البلاد؛ كما يحلو له أن يسميها شاي بالنعناع.

كان دائما يقول لي: هنا أجد قليلا من العافية برغم وجود جهاز الراديو بالمزرعة. إلا أنه قليلا ما تجده يعمل.

أخد قطعة كرتون وتناول بها إبريق الشاي، وضع كمية من السكر، قام بتصفية الشاي من الحشيشة، وبدأ في خضه لكى يعقد ومن ثم تناول شيئاً من النعناع، بدى طازجاً ومنعشاً تضوع رائحته بالمكان.

أعاده إلى الجمر لكى يسخن ويساعد على امتزاج النعناع بالشاي، وقام بصب طاسه* ناولني إياها واخرى له، ووضع الإبريق على حافة الجمر كي يبقى ساخناً وجاهزاً للصب حالما نحتاجه.

أكملت الشاي وأخدني في جولة لأشاهد خرافه التي ولدت بالأمس، كانت جميلة وصغيرة، تتنطط في حبور، اقترب منها واطمئن أن بطونها ممتلئة باللبن، أعطاها كمية من العشب وغادرنا المكان.

اليوم أتجول هنا في عين المكان بعد أن ارتحل ذلك الصديق وانطفأت النار، وبقيت عالة الشاي في مكانها تشهد على تلك الأيام الخوالي، وهكذا هي الأيام دول ولا يدوم إلا من له الدوام.

---

* طاسة: الاسم المحلي لكوب الشاي من الحجم الصغير المستخدم بشكل عام في كل ليبيا.

البَلادةُ اللذِيذة

بداية، أستعير هذا البيت للشاعر العراقي "مظفر النواب":

كان الكون معافى

فلماذا أنزل نعش الحزن ليدفن في عافيتي؟

منذ زمن، وزمني خارج عقارب الساعة، لقد قررت أن أبيت أن صح التعبير عن كل شيء ومن أي شيء، كما تفعل بعض الحيوانات في الشتاء، ولكن بياتي أن أتوقف عن القراءة والكتابة، فيما يشبه البَلَادةُ اللذِيذة، ولكن ما أن يمضى وقت قصير حتى تفيض الكأس وتصل الكلمات حد البوح!

كل شي حولي هادئ، الكل يغطون في النوم، فلم يبقى على الفجر إلا دقائق ثلاثون، ولكنى منذ ساعات أربع تسمرت

إمام الحاسوب، جلت الدنيا، عرفت ما يدور في زوايا الكون، مررت على أهم صحف الدنيا، اطلعت على الإخبار، علمت بأشياء كنت لا أريد أن أعرفها، لم يبقى سر في العالم.

كليك وأخرج من الشبكة، لقد أصبح راسي ثقيلاً كجبل، وفى زحمة الحياة وفى بوتقتها وعلى أتونها يحترق كل شي وتتحطم صروح آمال عراض لربيع مضى وصيف قادم.. لا شيء يستحق الرثاء، ولكن ربما كما قال شاعرنا الراحل "على الفزاني": (لا شك أن الطوفان آت آت آت)، وحتى ذلكم الحين تصبحون على سبات، وشى من البَلَادةُ اللذِيذة!

الديك

لقد أعجبت جدا بهذا الديك، لقد استطاع خداعي لمدة ليست باليسيرة، حتى اكتشفت بلاهتي. كثيرا ما كنت أقف لسعات أتأمله، يا له من ديك ذكى! يمشى متبخترا وسط دجاجات خمس كانت تقدم نفسها عن طيب خاطر كوجبة للأسرة عندما تحل محلها أخرى قادرة على وضع البيض.

كان في الصباح يصعد إلى أعلى المبنى، يعزف سيمفونيته العجيبة، فتشرق الشمس وهذا يزيد من إعجابي به. ذات يوم استقر رأى الأسرة على ذبحه! تساءلت هل ستشرق الشمس أم سنبقى في ظلام سرمدي؟ وديوك الحارة من يوقظها؟

في اليوم التالي استيقظت مبكرا لأرى! وإذا بالشمس تطل رويدا، رويدا كعادتها كل صباح، ثم أخدت ديوك الحى في الصياح.

يا صديقي إن الشمس لا تأبه لكل الديوك، إنها تشرق بدونها، ولكن متى ندرك نحن ذلك؟ ومتى تدرك الديوك ذلك؟

المروءة بين الناس

كان ياما كان في سالف العصر والأوان، رجل لديه سيارة جديدة، وكان معتزا بها، وفرحان. وفي يوم وهو عائد من عمله في ساعات الظهيرة والشمس كالمرجل في كبد السماء، ما لامست شيء الا تركته رمضان، وجد رجلا يقف على حافة الطريق يحاول اتقاء الشمس بقطعة من كرتون في يده، أخذته الشفقة! فتوقف وفتح الباب.

دلف الرجل داخل السيارة تبادلا التحية، ثم استمر في السير لمسافة التفت ناحية الرجل ثم سأله عن وجهته، أبلغه عنها ولكنه لم يبلغه بخسته وما كان يحيكه له في تلك اللحظة.

زاد من سرعته قليلا لكي يتمكن من إيصاله والعودة إلى منزله، لأنه لم يكن في نفس الاتجاه، ويعرف ايضا أن

زوجته وابنائه في انتظار وصوله لتناول طعام الغداء. لابد انه كسكسي بالحم اللذيذ، سال لعابه برغم جفاف حلقه من القيظ، دخل منطقة مهجورة قليلا وبحركة سريعة اخراج الراكب سكين ووضعه على رقبته طالباً منه أن يتوقف ويترجل من السيارة.

دارت به الدنيا وغامت، تسارعت نبضات قلبه، ندم على الحظة التي توقف فيها، ازداد حلقه جفافا وتجمد الدم في عروقه وربما دورته الدموية من فرط سرعته، وكأنها تجمدت، وبدأ يشعر بشفرة السكين تحز في لحم الرقبة، وصوت بدا له كفحيح أفعى، يطلب منه الترجل والا...!!!

تراخت قدمه عن دواسة البنزين وتوقف ونزل، بلمح البصر قفز اللص مكانه وصفرت العجلات مبتعدة السيارة تاركة الرجل! لم يفق من ذهوله في العراء في ذلك اليوم القائظ، فيما يجرجر قدميه باحث عن أقرب مركز للشرطة تذكر قصة قرأها في زمن غابر، أن أعرابياً كان مسافراً على جواده في فلاة الله الواسعة، استوقفه رجل فأشفق عليه وأردفه خلفه، تم بعد مضي جزء من النهار

توقفا لتناول الغداء، فتقاسم معه الرجل الزاد، وأراد الإعرابي أن يبتعد ليقضي حاجته البشرية، وترك حصانه مع ذاك الرجل، فما إن ابتعد عدة خطوات حتى قفز ذاك اللص على الحصان وأخد يعدو مبتعداً، استوقفه الأعرابي وصاح به:

- خذ الحصان والسيف والزاد، ولكن لا تروى قصتك لأحد، كي لا تضيع المروءة بين الناس!

اعتلى درجات السلم، وهو في الرمق الأخير، اسنده الشرطي ليوصله الى ضابط المركز، وهو لا يزال غير مصدق ان هذا قد حدث.

ودمتم في سلامة.. ودامت المروءة بيننا..

النخلة

في خطوات وجِلة، يخطو للأمام مترددا متوجسا أن يكون الخارج أكثر وأقسى برودة من الداخل، ولكن ما أن لامس وجهه هواء الخارج الذي أعطته الشمس شيئاً من دفئها حتى ازداد يقينه أن الخارج أسخن.

مشى عدة خطوات، وجد نفسه أمام المنزل جلسا على (الركابة)، وضع العكاز جانبا، ضم قدميه إلى أعلى متربعا، داعبت يده أصبع قدمه الإبهام، سحب الجورب قليلا ليدخل أصبعه من ثقب الجورب.

أدخل يده في جيب الفرملة1، أخرج منها كيساً من الجلد، سحب شريطاً على جانبيه، انفتح الكيس، أخذ قليلا من المضغة2 وضعها بفمه، أدخل يده مرة أخرى باحثاً عن

قطعة النطرون، قبض عليها، أخرجها، أخد منها قضمة أضافها للتبغ وخزنه بجانب فمه، أعاد الكيس إلى جيبه.

ترك لنظره العنان ليسرح، ولكن الشمس التي كانت تسقط مباشرة على عينيه جعلته يفتحهما نصف فتحة ويضع يده على جبهته لكي يتمكن من حجب أشعتها، فتح عينيه وتملى في النخلات التي أمامه، تذكرها عندما كانت في نصف هذه المسافة، كان يأتي مع والده المسن ويتسلق النخلة برشاقة يشد إلى وسطه حبل وسلة بدخلها منجل، ما إن يصل إلى أعلى حتى يقوم بحش العراجين وشدها بالحبل ليرسلها لوالده في الأسفل، يلتقطها ويقوم بفك العرجون ويسحب الحبل.

هكذا إلى أن ينتهي.. ينزل ويجمع ما تناثر هنا وهناك، يحمل ما جمعه ويضعه في الأكياس إلى أن تأتي العربة ويحملونه إلى المنزل الذي يجلس أمامه الان.

- السلام عليكم.. أهلاً جدي.

عاد من شروده على صوت حفيده، أمسك بيده، ساعده على النزول من الركابة، اتكاء على كتفه، وضع الحفيد العكاز في يد جده وهو يهم بالتوجه إلى بيت ابنه لتناول الغداء. لم يفته أن يخبر حفيده:

- أترى هذه النخلة؟ هي لجدك، وتلك أيضا!!

هز الحفيد رأسه بمعنى نعم، وخطى بخطا بطيئة مع جده نحو المنزل للغداء.

1- الفرملة: أحد قطع اللباس التقليدي الليبي، وهي أقرب للسديري الذي يلبس تحت الجاكت.
2- المضغة: أحمد أنواع الدخان التي يتم مضغها.

هروب 1

بقي زمنا طويلا يتشمس ويتطلع إلى مرزق من كل الاتجاهات، لقد كانت مرزق مكشوفة أمامه.. الشارع الطويل يشقها عن يمين الزوية وعن شمال النزلة ومن خلفه الكاف، منظر مهيب لمدينة تضج بسكون غريب وحالة من الإحساس بالأمان تفتقده مرزق الآن.

عندما قدر نهاية اليوم الدراسي، بتكاسل هبط أدراج القلعة وغادر المكان. شق شارع الحميدة حتى السوق، انعطف يمينا حتى لا يلاحظه جده الذي لديه محل بقالة صغير، أمامه نخلة سامقة عادة ما يتفيأ ظلالها مع بعض كبار السن من أترابه، يروى لهم معاركهم وانكساراتهم وترويع الفلاقة1 لهم ودخول الزاوي وحكمه لمرزق، وعن مأساة حصار مرزق أوان الاستعمار، وكيف كانت مرزق مدينة مسورة بها ثلاثة أبواب تفتح صباحا وتقفل مساء،

كأنها بوابة للزمن تدون نشاطها صفحة بصفحة ويوم بيوم؛ (الباب الكبير) من الجهة الشرقية، والباب البحري أو (باب الخير) من الشمال، وباب (قمقم) من الغرب. وعندما يدخل القاصد في ذلك الزمان من الباب الكبير فإنه سيجد أمامه شارع (الحميدة) أو الشارع الطويل، ويعرف أيضا بشارع (الدندل)، وهو يقسم مرزق إلى شطرين؛ إلى اليسار حي (الزويّة) والى اليمين حي (النزلة).

وقد أحيطت مرزق بسور، ورد ذكره في معظم كتب الرحالة الذين زاروها، ولا تزال بقايا هذا السور شاهدة عليه، حتى القلعة غربا والتي كانت مقرا لحكم دولة (أولاد امحمد) التي حكمت بشكل مستقل فزان على أن تبعث بالخراج من نقود ورقيق وذهب إلى الحكومة المركزية في طرابلس، فقد حكموا فزان حكما وراثيا ديني الطابع، فقد كان السلطان هو رأس الدولة، يليه وزير مساعد، ثم عدد من القضاة ويرأسهم كبير القضاة. وكانت مرزق هي عاصمة فزان في ذاك الزمان.

انعطف باتجاه سوق النساء تم باتجاه جامع (الذكر)، دخل، توضأ، صلى ركعتين وصعد إلى المئذنة ليرى الطلاب عائدون من المدرسة، نزل الدرج مهرولا، انتظر زملاؤه في الفصل، سألهم عما حدث في يومهم، أخبروه بكل شي، أخذ من أحدهم كراسة الحساب، وسجل على عجل عناوين الدروس التي درسوها لكي يقنع أمه وأبيه أنه قد ذهب للمدرسة، وها هو عائد منها، سجل التاريخ 20.3.1972. مسرعا نحو المنزل، دخل متظاهرا بأنه قد عاد من المدرسة، في انتظار أن يعود أبيه من العمل وينكشف كل شي، بأن تكون الإدارة قد أبلغت أبيه بغيابه، أو أن يمضي ذاك اليوم بخير.. وغداً عندما يصل إلى الزاوية السنوسية قد يذهب إلى المدرسة لأن حصة الحساب هي في أخر اليوم الدراسي، أو نحو داقرو، غابة النخيل والقلعة مرة أخرى.

1- الفلاقة: اللقب الذي كانت يطلقه المستعمر الإيطالي على المجاهدين الليبيين.

أم الرزق

كان هذا حلمها منذ سنين، ينمو ويكبر ويشيخ، ولكن لا يتحقق، كانت هذه الجدران تأكل أيامها دقيقة بدقيقة، فيما يمتص رحيق الحياة منها، وهي صاعدة هذه الدرجات الخمسة في المنزل الذي تقيم فيه، والذي يقع في أحد أطراف حي (الحرية)، هكذا يسمى الحي، في تناقض عجيب وتنافر بين المفهوم والمقصد، فهو أبعد ما يكون عن مفهوم الحرية في السياسة. السجون تئن بالمسجونين، والقبور تشهد على من تجرأ ونطق بكلمة لا ترضيهم أو تشتم منها رائحة الحرية.

وما إن صعدت الدرج، حانت منها التفاتة غير معتادة، لمحت ابن الجيران. عرفته مذ كان طفلا وكانت تلعب به وتدلله وتحلم يوما أن يكون لها مثله، هو الآن يفتح الباب ليُنزل ابنه البكر واخته الصغيرة، فيما زوجته نزلت من

الباب الآخر للسيارة، وبطنها يسبقها، دلالة على قرب قدوم المولود الثالث.

خطت الخطوة الأخيرة داخل المنزل الذي كان يضج بصخب الحياة، ولكن الجميع رحلوا ليبنوا لهم أعشاشا جديدة، فيما رحل الأبُ رحلته الاخيرة إلى مقبرة البلدة منذ 5 سنوات مضت ولحقت به أمها بعد ذلك بعام، مخلفة لها فراغا لا يمكن وصفه أو تصوره، أحست ساعتها إنها كبئر عميق أجوف، جف مائه ولم ولن يرد إليه أحد.

ظلت الأيام تجرجر بعضها والسنوات، وهي كما هي! تذوي بين جدران وسقف بيت بارد لا حياة فيه ولا ضجيج، كل محاولاتها باءت بالفشل بأن تبحث عن وليف، ولكن لا فائدة، كل من تلتقيه يغادر على عجل، إما يكون كأصغر إخوتها، أو كوالدها.

كان لها من الأخوة 4، ومن الأخوات 3، كلهم ما إن تنموا أجنحته حتى يبنى عشه ويطير، إلا هي ظلت الأيام

تعاكسها دائما، لم يُبنى العش ولم يمر الوليف! كم حلمت به على حصانه الأبيض يطل ليخطفها! مستعدة أن ترضى بكل شروطه، أن تتنازل عن الكثير أو كل أحلامها، ولكن كل ذلك ذهب أدراج الرياح...

تخريص

كان يحمل زنبيلا1 من السعف، يتنطط فرحا، يسبق الجميع، ثم ما يلبث أن يعود. كانوا ثلاثة يحثون الخطى خلفه، والده وعمه وأحد الجيران، عندما وصل الى محاذاتهم؛ اقترب من أبيه وسأله: ماذا سنفعل.

أخبره: اليوم تخريص2 تخريص.. ردد الولد وانطلق يعدو.

عندما اقترب من سور البلدة، توقف عند الحنفية، فتحها، انتظر ان تنساب المياه الساخنة، حتى بدأت تبرد، غسل يديه وشرب.

وصل من تركهم خلفه، غسلوا أيديهم ثم التفوا حول السور، لمح عددا من الناس وعراجين مقطوعة من النخل.

رفع عينه، كان في أعلى النخلة، رجل نحيف بساقين دقيقتين ومثبت إلى النخلة بحبل بيده اليمنى، وبمهارة يقطع العرجون، مثبتا إياه باليد الأخرى ويشده إلى الحبل، ثم ينزله رويدا فيتلقفه الجمع.

رأى تمرة، امتدت يده ليأخذها، وإذ بيد تهوى على يده: أترك لا تأكل منه، إنه من تمر الوقْف.

تركه ولم يفهم معنى الوقف، ولكنه أدرك الا يأكل منه، فهو ليس ملك أبيه. انتظروا حتى تمت عملية البيع وأخذ الوالد حصتهم، ملأ الوالد يده بالتمر وقدمه له:

- خد الآن، وكل ما تشاء!

أخده ومشى يجرى يسبقهم في طريق العودة للبيت، فيما سبقتهم الزنابيل المملوءة التي اشتروها من تمر الوقف، من التاليس3 على العربة للبيت.

1- الزنبيل: وعاء من سعف النخيل يستعمل لحمل الأشياء.

2- تخريص: هو جمع وتثمين ثمار النخيل التي تتبع الأوقاف يتم بيعها لمن يرغب.

3- التاليس: نوع هو من أجود انواع التمور بفزان.

تدريب إجباري

عندما يكون الحلم غال، لا يكاد يصدق المرء أنه ممكن الحدوث! إلا في عالم الخيال.

ذات صباح بارد تيبست فيه يدي وأرنبة أنفى، مع ذلك كنت شاحبا وممتقع الوجه، وشلالات العرق تجرف أمامها ما تبقى من سدود الأمل، جئنا في صف طويل.

تفرستُ في الوجوه التي أمامي والتي خلفي، مما زاد إحساسي بالألم (يا رب إلى أين يقودنا قدرنا؟) لا أدرى هل هو صوت مسموع أم إنها ابتهالات في منولوج داخلي، عندما وصلنا وجدنا أمامنا حفرة عميقة.

كنت أظن أنه سوف يكون دوري السابع، والذي كان ترتيبي في الصف. ولكن رجلا ككيس الدقيق، بطنه مندلق أمامه، ورأسه غائر في صدره، كأنه بدون رقبة

وقف أمامنا تفرس في وجوهنا بعينين حمراوين. أخرج ورقة من جيبه وقرأ: رشاد..

تقدمت بخطى متثاقلة أجرجر أقدامي، نظرت إلى الأسفل، إنها عميقة، جدرانها ملساء من غير الممكن تسلقها، من يسقط فيها لا يخرج! هذا ما دار في خلدي، لن أخرج وهذا على كل حال واضح لكل ذي عين مبصرة، ولكنها إرادة الأقوى: نفد!

قفزت في تلك الحفرة! أحسست بجفاف في حلقي وغامت عيناي كأنه الدهر تلك الثواني (بم) صوت ارتطامي، لامست قدماي الأرض، ثم شيء لا أدرى كنهه رفعني الى الأعلى! إذ بي على السطح مرة أخرى، تحلق حولي الجميع، حمدت الله ومن شدة فرحي قفزت عاليا في الهواء لأجدني ملقى على الأرض خارج السرير، حملت ملف أوراقي، ودّعتً الجميع، قد تطول الغيبة! ولكن نهاية الحلم إني عدت سريعا، وحتى اللحظة لا أدري كيف عدت؟!

حزام الأمان

بهدوء يتقدم، فيما حذاءه يصدر شيئاً يشبه الصرير، وهو يطحن تحت قدميه بقايا العشب الجاف لما بعد الحصاد، فيما زادت شدة الريح تحسو التراب لتلقيه على وجهه وتملأ عينيه.

أخيراً قفز إلى السيارة، أدار المحرك وانطلق كسهم يمرق من قوسه، مد يده تجاه آلة التسجيل، التهمت القرص وبدأت الموسيقى تنساب في هدوء. زاد من ضغطه على دواسة البنزين وأخذت العجلات تصدر صلصلة وهي تنهب الإسفلت تحتها، ركز نظره على الطريق، أصبحت أمامه خيطا أسوداً يتلوى تحت عجلات السيارة، ولكن دوي قوي للحظة! أدرك أن أحد الإطارات قد انفجر.

كانت السيارة عبارة عن كتله من الحديد الخردة تتلوى بجانب الطريق في رقصة موت حقيقية، تذكر عندها أنه في هذا المكان تقريبا قبل سنين سُحقت رأس قريب له، أغمض عينيه واسودت الدنيا، لم يعد يذكر شيئا، سوى أن يدا تمتد له وصوت قريبه:

- الحمد لله على السلامة.. طلعت من عينها.. لم ينقذك إلا أنك قد وضعت حزام الأمان، والذي أبقاك داخل السيارة وهي تتلوى تم تنكفئ على ضهرها كسلحفاة.

لحظتها دخل الطبيب يحمل صورة الأشعة بيده:

- بعض الكسور في الأضلاع والساق، تحتاج لبعض الوقت سوف نتخذ ما يلزم.. غادر الطبيب الغرفة.

شعر بأن كل جسمه قد تحول الى كرة من ألم، كله يوجعه، لا يستطيع أن يحدد مكان الألم، ولكنه تذكر أن حياته كانت معلقة بذلك الإعلان الذي وضع على التلفاز، شاهده قبل أن يغادر المنزل (لا تنسى أن تضع حزام الأمان، فقد يكون بينك وبين الموت أن تضع حزام

الأمان)، حمد الله أن ألهمه وهو يهم لحظة الانطلاق، أن سحب الحزام حوله وشده إلى المقعد.

ودمتم بأمن وسلام..

حلم

ما أن يزحف الليل حثيثاً، ليطفئ آخر شموع النهار، ملوحا بيده لتوديع أخر خيوط الضوء، حتى أنفخ مصباحي وأسحب الغطاء فوق رأسي. ينزوي الحلم معي ليرافقني في نومي، حيث تتراجع كل الأشياء الأخرى.

أستعيد في تلك اللحظة، كل صندوق أحلامي، أشرعهُ وأقلبها، كيف هي زهور ذبل بعضها! ولكن لا تزال هناك بذور للآتي، سينثرها في المكان حال حلول الربيع، رغم وحشة وصقيع الأيام والليالي التي تنهش عظامي منذ سنين. أقفلُ صندوقي وأريح روحي وعظمى قليلا في العتمة.

فإذا جاء الصباح وأشرقت الأرض بنور ربها؟ لا يرحل الحلم!! إنما يسايرني طوال الوقت ويمضي معي طوال الطريق، وأنا أنزل شارع الضمان الغريب، الذى تسير

عرباته كأنها بهائم سائمة لا يقودها أحد. فقط ابحث عن طريقك، وحاول أن تتفادى الاصطدام بأحد حتى أصل وجهتي، أودعه وأنا أطرد آخر قطرة نوم بكأسي، فقد وصلت مكان العمل محتفيا بيوم جديد، على أمل أن يكون يوما كما أحلم به، سعيدا أكيد!!

وتظل أحلامنا كعنقاء تنهض من رمادها كل يوم، حتى نرى أحلامنا قد تحققت للعيان بوطنِ الحلم الآتي.

خجل

يفيق مبكرا، يقوم بعمله الروتيني المعروف حتى يصل تلميع الحذاء، يمر عليه بالفراشة، يرتديه في هذه الطرق المغبرة، هو فعل زائد! ولكن قطعة الكلينكس في الجيب، وعندما يصل الإسفلت يقوم بمسح الحذاء: تمام عاد يلمع!

ها هي قادمة من الشارع المعاكس، وصلا الباب سويا، سلم عليها، كاد يضيف بضع كلمات عالقة بحلقه، وتدور بذهنه، ولها وجيب في قلبه، ولهفة للقياها، ولكن هنا تموت الكلمات على الشفاه وتجمد، ويدق القلب فيصمت؛ إنه الخجل.

كانت تمني النفس أن يقول لها كلمة: تراني أ أهمه؟ أ أعني له شيئا؟ هل له فتاة غيرى في مكان ما يحادثها أو ينوى

الزواج بها؟ هل أكلمه؟ مستحيل سيظن بي الظنون! لابد ان يبدأ هو الكلام.

وفى يوم وصل موظف جديد للمكان، منذ الأسبوع الأول لاحظ أنه يتودد إليها، وبعد شهر رأى دبلة في يدها، وبعد شهر، كانوا في إجازة. أخد عصفورته وطار!

منذ ذلك اليوم صمم ألا يترك الفرصة تفوته، أصبح شعاره لا تؤجل عمل اليوم الى الغد، استفاد من الدرس في الحب والحرب؛ لا مجال للتردد!

خيول النوم الهاربة

تكور داخل السرير، جذب الغطاء على وجهه، أخذ جهاز التحكم عن بعد (طق) أطفاء التلفزيون، ضغط رأسه بشدة بين يديه وبدأ يطارد خيول النوم الهاربة، يعد الخراف واحدة.. مئتان، ولكن النوم لا يأتي، حالة من خفافيش القلق تطير في كل اتجاه داخل قفصه الصدري، حاول عبثا!! ثم عاد يعد أغنامه من جديد واحد ... ثلاثمائة، لاشى جديد، أزاح الغطاء قليلا، أخذ جهاز التحكم عن بعد (طق).

أطلت مذيعة معروفة من إحدى القنوات، وشريط أحمر لخبر عاجل من أقصى الارض، تمعن فيه، قرأه، تم أشاح بوجهه للجانب الآخر، وبدأ يطارد أغنامه من جديد واحد ... أربعمائة، لا فائدة.

قذف بالغطاء وغادر الغرفة إلى المكتب، جلس، أخذ الورقة والقلم: ماذا أكتب؟ لا أستطيع التركيز، لا شيء (خواء).

دقائق وبدأت الحياة تدب في أوصال المدينة، إنها السابعة صباحا، كل ما حوله (هدم لأجل التطوير) وبدأت الديناصورات الصفراء تحطم وتركل ما يقف أمامها من مبان خرسانية محدثة ضجيجا وغبارا كثيفا حولها، وبعضها الآخر تنشب مخالبها تحفر أخدودا في جوف الارض لأجل المجاري الجديدة.

مسرعا أدار محرك السيارة: لابد من الهرب من هذا الجحيم! ولكن الى أين؟

دون أن يدري وجد نفسه في المزرعة، أطفاء محرك السيارة، ذهب يتأكد من أن خرافه موجودة في مكانها، لم يسطو عليها أحد ليلة أمس، ثم انسحب نحو شجرة ضخمة في المزرعة، تحتها فراش قديم بال، خلع نعليه،

وارتمى وبدأ في عد خرافه، ولكنه لم يكمل الرقم سبعة، حتى أيقظه العامل بالمزرعة؛ أن الساعة الآن الواحدة، موعد صلاة الظهر. مسرعا توجه نحو السيارة عائدا إلى المنزل.

دار الغولة

دار الغولة في بيت جدي والبيوت القديمة! عادة ما تكون دار الشتاء، هي غرفة داخل الغرف الأكثر عتمة بها فتحة صغير ة في الأعلى، في المنتصف تنتصب تحتها الطابونة، وهى مكان إشعال الحطب والفحم، وفتحة في الجانب يتسرب منها ضوء النهار.

مع الزمن أصبحت هذه الغرفة لا تستعمل، ثم أقفلت، بها بعض الكراكيب ولا يدخلها أحد إلا نادرا.

عندما وعينا، وجدناها مقفلة، والفضول يأكلنا؛ ماذا يوجد بداخلها؟ هي مظلمة، كل محاولات استطلاعها من شقوق الباب مستحيلة.

وحتى من يدخلها معتمدا على معرفته بترتيب الأشياء في المكان في العتمة التامة أو قليلا من الضوء المتسرب،

عموما كنا طوال الوقت نسأل؛ ماذا يوجد في داخل الغرفة؟ الاجابة: تسكنها الغولة.. هذه دار الغولة!!!

وتصبح في أذهان الأطفال، أن الغولة تقيم هنا، وأي محاولة لكسر الطوق أو التجرؤ على طرح الاسئلة، الاجابة الجاهزة هي: سآخذك الى دار الغولة!! أو نخرج لك الغولة!

وظلت تلك الغولة ومازلت، السر الذي يجعلك لا تتجاوز أسوارهم التي رسموها لك: تسقط الغولة.. تحيا الغولة.. ولكل منا غولته.

أحضر الموت إلى بيته

كانت ليلة قاسية البرودة، تلفع جرده1 جيدا وخرج. أدار محرك السيارة نحو غابة النخيل، ليست بعيدة كثيرا عن العمران، يسمونها (شقوة). وصل مع بزوغ الضوء، لم ينتبه! فك جرده وألقاه على الأرض واتجه إلى شجيرات الأثل2، وأخد يكسر الاغصان الجافة، كون حزمة لفها جيدا واتجه إلى وشكة قريبة، جمع منها ما تيسر من كرناف3 وحطب جاف، وعاد أدراجه الى السيارة.

وضع الحزمة الأولى، تم عاد نحو النخلات وأحضر الحزمة الأخرى وضعها بالسيارة، واتجه نحو الجرد لفه ووضعه بجانبه بالسيارة، وقفل عائداً إلى المنزل، ولم يدرك ماذا أحضر معه!

أنزل الحطب ودخل المنزلا وجد زوجته تنتظر قرب التنور، أعطاها الحطب. أخدت عيدان الأثل ووضعتها داخل التنور.

أشعلت النار باستعمال ليفة من النخيل، ووضعت بضع وحدات من الكرناف، قربت العجين المغطى بالمنديل من الدفء لتسرع عملية التخمر.

دخل زوجها وهو يلف الجرد تحت إبطه، الى المربوعة واستلقى. فرد الجرد، وفجأة صرخ!

شيء ما قرصه! قفز! وإذا بها أفعى من النوع السام جداً، إنها أم جنيب4، لسعتها قاتلة، أسرعت زوجته، أحضرت الماء والملح وبعض الأشياء الشعبية. ربط مكان القرصة في محاولة لمنع تسرب السم، ولكن الدنيا غامت ودارت به! لم يعد يحس بشيء، بَطُئ النبض، ولفظ أنفاسه الأخيرة.

وصل الجيران على صراخ العجوز! كل شيء قد انتهى، وظلت النار في التنور لوحدها مشتعلة. ذاك الذي أحضر الموت إلى داره.

1- الجرد: لباس تقليدي ليبي، وهو مصنوع من الوبر أو الصوف، ويلف حول الجسم.

2- الأثل: نباس صحراوي جاف.

3- كرناف: الكرناف قاعدة أو منبت السعفة، وعند جفافه يستخدم كحطب، كما يستخدم في صناعة بعض الأدوات.

4- أم جنيب: أحد أنواع الثعابين الصحراوية، وسميت بذلك كونها تتحرك جانبياً.

سلحفاة الوقت الهرمة

سلحفاة الوقت الهرمة، التي لا تمشي فور غياب الكهرباء فينام الوقت، وتتمدد ثواني ودقائق الساعة كأنها الدهر، وخاصة مع ليل الشتاء الطويل، فالشمس تهرب سريعا لمستقرها اتقاء البرد، وتسمح لرداء الليل الطويل أن يرخي سدوله على كل شيء، حتى ثغاء الخراف يختفي فور غياب الشمس، وكذا نباح الكلاب في المزارع القريبة.

كل شيء ينكمش باحثاً عن الدفء وشيء من الضوء، يزيد الأمر إظلاما غياب القمر، كونها في آخر أيامها كأنها عرجون قديم معقوف، تأتي متأخرة، وبالكاد تعطي قليلا من الضوء.

أحضرُ قليلا من الحطب لإشعال النار بالسياج، يطرد قليلا من الظلمة ويشع بعض النور، وربما لكي تتزحزح

قليلا سلحفاة الوقت الهرمة بشيء من تحريض الضوء والدفء، أضع الجمر بالمنقل وأدخل إلى المنزل، أحاول قطع عددا من ساعات الليل لكي أشعل مولد الكهرباء الذي بدوره يحتاج الى وقود، وهو شحيح أيضا هذه الأيام، ولكن لابد لكى نتغلب على الضجر، ويتم شحن الأجهزة من هواتف ولابتوب وتاب حتى نقطع بها ما تبقى من الليل، وشيء من نهار اليوم التالي.

أقسم الوقت بين قراءة الكتب الورقية، مع الاستمتاع بدفء الشمس، والبعض الآخر للكتب الإلكترونية، وهكذا دواليك في محاولة لكى أحث سلحفاة الوقت الهرمة على المسير.

ما أن يدور المولد، حتى تركبها كل شياطين الجري لتركض سارقة الساعات الأربع كأنها لم تكن.

سريعا أقوم بجولة على القنوات لمعرفة ما جرى في هذا العالم الشاسع؟ وهل من أخبار حول عودة الضوء؟ هل فك الحصار عن صمام الغاز؟ وهل أطلق سراح

المخطوفين؟ وماذا عن لقاءات الأخوة الأعداء في عواصم العالم؟ وماذا تفعل دولة بها أكثر من 5 رؤوس؟ هل يمكن أن تسير إلا إلى الوراء؟

عموما أطفئ المولد، ويكون قد ذهب أكثر الليل، ولكن عقارب الوقت تأبى التزحزح لكي تفسح لضوء الفجر ان يسفر.

أسخن الماء وأملأها في قنينة المشروبات الغازية، وأضعها جانبي وأشغل جهاز الهاتف كي أقتل ما تبقى من وقت شح فيه الماء بغياب الكهرباء.

السلحفاة إياها!! لازلت كسولة تتمطى، ولكنها تراوح في مكانها تأبى المسير، الأيام لم يعد عددها يفيد في شيء.

وأخيراً عادت الكهرباء، وعادت الاتصالات، وعادت الأمور للركض سيرتها الاولى من جديد.

ولله الامر من قبل ومن بعد.

شتات العمر المبعثر

كالعادة مع بداية الخيوط الفضية الأولى التي تنير السماء، أقف إلى سياج المنزل أفتح صدري لنسيمات الصباح الأولى، أملأ منها رئتي، ولكني أشعر بقلق على غير العادة ومائة سؤال وسؤال؛ ثم ماذا؟

وهكذا كلما انتهي من كتابة مقالة أو قصة أو شيء مما أكتب، فأنت يا صديقي مكبل بقيود العادات، فهي تكسو كل تصرفاتك مع الآخرين وربما حتى مع أبنائك وزوجتك، كيف تحفظ توازنك وسط هذه اللجج؟ كيف تكون أنت ولا تنشطر أو تنفصم؟ كيف توائم بين هذه التناقضات؟ كيف تحافظ على رأسك على كتفيك؟ كيف تحافظ على هذه الشبكة العنكبوتية فوق كتفيك؟

كيف تقف على هذه الأرض دون أن تقع؟ وإذا وقعت؛ كيف تنهض وتسير من جديد؟ كيف وأنت تبصر مساحة وطاحونة الظلم في العالم تتسع باتساع الكرة الأرضية، فيما يخفت صوت الحق وسط قيم الظلم؟ فكما قال الشاعر قديما:

محن الزمان كثيرة لا تنقضي

وسروره يأتيك كالأعياد

ملك الأكابر فاسترق رقابهم

وتراه رق في يد الأوغاد1

وصلت إلى بغيتي، وقعت عيني على أعلى مبنى جنوب مرزق، وهو لا يزال يتحدى عوادي الزمن ويخرج لسانه لكل جديد في مرزق، فلن يكون بجماله وعظمته (أنا قلعة مرزق كان لي شأن عظيم في سالف الأزمان).. ليتني أستطيع أن ألملم شتات العمر المبعثر فوق أرصفة الضياع وفي زحمة الأيام والليالي، ليتني أستطيع أن أعيد الثواني والدقائق الضائعة، علّي أبني هذا الذي يجلجل

بالانهيار، هل الموت هو تحرير شهادة بالوفاة أم توقف عن العطاء؟

أحيانا كثيرة أرى أمواتا يمشون! يعيشون معنا نجالسهم ونخاطبهم، نأكل ونشرب معهم، أحيانا أحس المدينة عبارة عن أناس تغط في موت عميق، وقبور تمشي، فكل رأس مقبرة، غريب هذا الذي يتصرم كرمال من بين الأصابع، ويمضي قطار العمر سريعا متجاوزا كل المحطات؛ لا زلنا نعاني سغب الصحراء والموتى والآم سيزيف، لازلنا حزانى في ضيق المكان نتحسر كيف يأخذ الموت الرجال، لازالت أحلامنا العنقائية تموت وتبعث من رمادها كل يوم.

من المذياع يرتفع الأذان، الصلاة مفتاح الجنة كما تعلمون، كانت الجنة مأوانا جميعا.. وهنا أضع القلم وأقطع حبل الأفكار كونوا بخير..

1- الأبيات للإمام الشافعي.

قامت العنقاء

موجع صبحك، حين لا تجد من تلقى إليه ببوح: صباحك خير.

ولا تشم ضوع ورود قرنفلة متفتحة توا، ولا يصلك سراب فراشات من غيم الوجد السابح في بحر شراييننك.

موجع يومك الخالي من نافذة مشرعة على الأزرق المترع بالنور، تشقه مئذنة العتيق، تعانق سماء الماضي المعتق في النفس.

مؤلم أن تسافر هداهدك وتعود برسائلها لان بلقيس قد أوصدت كل نوافذها.

يحاصرك الوجع على سماء خاوية من سحب بيضاء، محملة ببروق الخير، تبحث عن شعلة أمل، لتشرق مزنا تعطّر الأرض، وتنبت سنابل قمحك بعد الجدب، وتزهر

تلك الوردة المنسية في سفر التاريخ، الموشّى باللون القاني.

لتهب كل جموع الرأس زاحفة صوب المدينة، معلنة قيامة العودة، وعودة الروح لجسد ظل يئن طويلا، ويرتفع الآذان وتزغرد نسوة، بأن مولودا بكرا قد جاء، وقوافل القوم وصلت تحمل بشارة قميص يوسف المقدود من دبرا، لترد البصر لكل العميان وتعلن؛ تلكم مرزق.. تلكم مرزق، قد قامت عنقاء.. تعانق عنقاء.

قد نلدغ من جحر مرتين

قد يلدغ جاهل أو أحمق من جحرا مرتين، عندما كنت في مرحلة الصبا، تقريبا 15 عاما أو يزيد قليلا أو ينقص، كنا نطارد العصافير باستخدام أدوات الصيد التي كنا نصنعها؛ كالمضربة1 وهي تصنع من سعف النخيل والعرجون الجاف، وحبل ليقوم بدور النابض، أو من التل2، وهي التي تعرف بالفرطيقه، أعتقد إن كثيرا من الليبيين يعرفونها.

وكانت هناك غابة من النخيل تسمى السبعة، وهي قريبة من منطقة الرأس القديمة، وهي أقدم أحياء مرزق، هُجرت عندما غمرتها المياه وتحولت المنطقة إلى سباخ، جزء منها منطقة داقرو وقريبا منها مقبرة الرأس التي لا تبعد كثيرا عن مدرسة الرأس، التي تلقيت فيها تعليمي الابتدائي وذكرتها سابقا في إحدى التدوينات، عموما تلك

الغابة والتي لا أدرى هل لا يزل نخيلها كتلك الأيام بذات النضارة والتشابك أم ذبل وشحب ومات كأشياء كثيرة غيره.

كنا نذهب لكي نمسك بالعصافير، لم أقل نصطاد! لأننا نبحث هناك عن العصافير الصغيرة ونأخذها من أكنانها، وذات مساء وصلت إلى هناك صحبة مجموعة من الرفاق، وهم خليط من سكان الزوية والنزلة، وبدأنا نبحث عن أعشاش الطيور المسماة عندنا بالشيبة والحمام البُرني، عادة عش الحمام يمكن أن تره دون عناء، أما عش الطيور فيحتاج إلى أن تدخل يدك لتعرف ما بدخله هل هي بيوض أم فرخ؟ وهل هي كبيرة أم صغيرة؟

وفيما أدور حول إحدى النخلات رأيت عشاً فصعدت إليه، لم تكن النخلة بالطويلة ولا بالقصيرة، وصلت العش لأكتشف إن العش يحوي على أربعة فراخ، ولكنها صغيرة، تصفحتها وكان العصفوران الأب والام يحومان حول النخلة ويصدران زقزقة أشبه بالولولة والصراخ

والاستنجاد، لإنقاذ فرخاهما من هذا الكائن الباطش، أعدت الفراخ إلى داخل العش ونزلت.

بعد مضى عشرة أيام تقريبا أو تزيد قليلا، قدرت إنها كافية لكي أعود وأجد العصافير قد كبرت ولا تستطيع الطيران لكي تغادر العش، وصلت إلى بغيتي نظرت إلى أعلى وجدت العش في مكانه ولكن لا وجود للطائر الأب أو الأم، فلم تحدث جلبة كالسابق بدأت أصعد النخلة وكلى ثقة في أن العصافير قد كبرت!! وصلت العش وفورا أدخلت يدي داخل العش لأقبض على العصافير، قبل أن تفلت، وفعلا قبضت على شي! ولكنه ناعم الملمس، لا زالت حتى اللحظة أتذكر كم هو ناعم، ولكنه بقوة انسحب من يدي، وأطل رأس الأفعى من العش، أدركت ساعتها إن الذي بيدي أفعى! تركتها وبدأت رحلة نزول سريعة ومرتبكة حتى منتصف النخلة، تم قفزت وأحمد الله إن تلك المنطقة كانت رملية.

كنت أتصبب عرقا باردا، وجسمي كله يصطك، ومنذ ذلك اليوم لم أضع يدي في عش، ولكنى الآن أقف أمام

العش فهل أدخل يدي لكي أقبض على العصافير أم أنني لا أوتى من عش مرتين؟

1- المضربة: أحد أنواع فخاخ صيد الطيور.
2- التل: السلك المعدني المستخدم في الربط.

لا شيء يدوم

يومي الذي يتمطى كسولا، يزحف كسلحفاة هرمة اشتعل رأسها شيبا، تضع نظارة على عينيها، تحمل عكازا تتكئ عليه لتقطع الشارع الطويل، والشارع أمامها مليء بالحفر، تنظر يميناً ثم شمالاً لا ترى سوى أطلالاً سورتها زرائب من كل اتجاه.

تمر بقربها سيارة فارهة يركبها كبير المدينة، ينداح الوحل من الآبار السوداء يغطى حرقفتها ويغمرها برائحة عطنة، تلعن الحظ العاثر مرتين؛ إحداهما لأنها هنا، والأخرى ستعرفها في القريب.

لا شيء جديد، غبار معيشتها وشمس حارقة، وزمهرير شتاء قارس، تجر قدميها اليمنى وتلحقها اليسرى ببط ثم التي خلفها ثم الرابعة، وهكذا دوليك، في زمن رتيب بليد

خاو كأيامها، وتمر عربة أخرى، يمر فوقها السائق لا يرها، تدخل في حرقفتها ثم بعد هنيهة تُخرج رأسها من جديد.

ما هذا التناقض الشديدة الوطأة؟ يمر أناس زرافات بغير لسانك يرطنون، لا تعرف ماذا يريدون أو ماذا يقولون، كل واحد منهم معول هدم (ترى ماذا تفعل سلحفاة عجوز هنا؟).

أحدهم يركلها بقدمه، تنقلب على قفاها، تلعن حظها الذي ساقها في هذا الزمان وهذا المكان!! ترى لو أني في زمن غيره أو صحبة أناس غير هؤلاء! أناس ودودون وأكثر تحضرا، هل كانوا سيوقفون حركة المرور حتى أعبر هذا الشارع اللعين؟ هل كانوا سيصلحون هذه الحفر؟

تحاول وتفقد جزء كبيراً من طاقتها لكي تصلح من وضعها، ثم تعود تخرج قدمها اليمنى ثم اليسرى ثم التي بعدها إلى أن تخرج الرابعة، وتعاود المسير.

لا شيء يدوم كما ترون! إن كنتم تنظرون إلى اليمين، هنا كان حي يسمى النزلة، وإلى اليسار هنا، حي يسمى الزوية. ولكن الآن لا شيء هنا سوى مكب قمامة، وأبار سوداء، ورائحة عطنة تفوح، وغرباء يملئون المدينة، وفجور سادر في غيه يتحدى كل القيم.

وهنا كان بيت (المكًنى) أتعرفونه؟ كان يحكم المدينة، وكان الناس يخشون حتى الاقتراب من (سيارته الفارهة.. عذراً أقصد حماره).

قبل أن تنهى السلحفاة قصتها وتدخل جحرها لتنام، تقول لكم تمعنوا جيدا في العنوان.. ودمتم بسلام!!!

مسرحية الحياة

أنظر ذات اليمين وذات الشمال، فكل شي يقول لك تعال أمعن النظر، سترى بذرة الموت في كل شيء، لا تبتعد كثيراً (فلينظر الإنسان إلى طعامه)1! كيف كنت وأصبحت وستكون؟ لا جواب لدي، فأنت تعرف نفسك أكثر مني، وتمش عبر الدروب المقمرة وشبح المقبرة أمامك، هناك لوحة تتفحصها جيداً إنها مكتوبة بلغة لا تعرفها ولكنها تقول لك في لهجة صريحة، كنا هنا يوماً قبلكم ثم تقرأ (إن قارون كان من قوم موسي فبغي عليهم)2، لا تكمل الآية وتذكر أن فرعون كان في زمن موسى أيضا، وتعود أدراجك مثقلا بالهموم.

تمر أمام متجر تسمع صوت المذياع ومطربة تشدوا (كان يا مكان)3، تعرف أن الوقت حان تمر، عبر صفين من المساكين، تراها تخرج لسانها لتسخر منك، تشعر وكأنك

حشرة ضئيلة قرب هذه الهياكل الخراسانية، تنعطف إلى شارع جانبي يرتفع نداء الحق تتمتم ببضع كلمات وتدلف إلى المسجد، تشعر بطمأنينة وسكون يلف كل شيء، تكمل صلاتك وتخرج بشيء من الهدوء يلفك، تتجه صوب البحر تنظر عبر الأفق الأزرق الممتد تصعد فكرة سخيفة إلى مخيلتك؛ ترى لو يصحوا هذا المارد الأزرق ليغطي كل شيء! فهل هناك سفينة تسع هذه الكائنات؟ تطردها وأنت تفكر في قوم نوح ولكن أين نوح الآن؟

موجة هادئة تداعب رمال الشاطئ تصل قدميك، تعيدك إلى الواقع تنظر في ساعتك إنها السابعة، تعود ليبتلعك الشارع من جديد، وصبي يصرخ: الكواكب، النجوم، الرياضة، الموضة، الفجر الجديد.

تضع في يده قطعة نقود يسلمك الصحيفة، تفتح صفحة الوفيات العدد مئة، تقلبها صفحة المواليد إنهم مائتان! إذا لازالت إرادة الحياة أقوى بالرغم من كل شيء، تقلب الصفحة، إعلانات مختلفة؛ عطور، سجائر، حلويات، أفلام، مسرح، لهو، عبث.

تلف الصحيفة ترمي بها في سلة القمامة، تعود إلى المنزل مسرعا لأنه اقترب موعد رفع الستار، تتذكر أنك ممثل ولك دور في المسرحية، ترتدي بدلتك، تسوي ربطة عنقك، تضع بعض الأصباغ تودع زوجتك وأطفالك، تخرج مهرولا تقابلك لوحة مكتوب عليها مسرح الحياة، تدخل من الباب الخلفي تصعد إلى الكواليس تجد المخرج متجهم الوجه يصرخ بأعلى صوته أين كنت؟ لقد تأخر العرض بسببك كثيرا! تعتذر وتكرر الاعتذار، ولكن لا ترتسم علامات الرضا عل وجهه. على العموم، يدخل المذيع الداخلي ليقدم المسرحية، يخرج الملك على حاشيته في أبهى حلة يضحك فتزهر الأرض ويفرح الأطفال يكشر عن أنيابه يحل الموت، ويلف المسرح السكون وتطفئ الأنوار وتنزل الستارة على المشهد الأخير.

1- سورة عبس – الأية 24.

2- سورة القصص – الآية 76.

3- أغنية (كان يا مكان) للفنان "ميادة الحناوي".

نهاية الطير المقطعي

الطير المقطعي؛ ويسمى هكذا لأنه يقاطع الفخ، بسبب تجربة مريرة قاسية مع أداة الصيد والتي تكون قد أطبقت عليه وجعلته يرى موته بين عينيه، ولكنه بمشيئة الله استطاع الفرار، من خلال خرم لم يدركه الصياد، أو يفلت من بين يديه أثناء الإمساك به فيتحول الى طائر (مقطعي).

تبقى تلك التجربة القاسية ماثلة في ذهنه وأمام عينيه، ولن يستطيع أحد أن يقنعه بنسيان تجربته القاسية، فيقترب من المضربة أداة الصيد، ويرقص رقصته المعهودة (أبلق تعال هاى الدودة).

ولكن مرارة التجربة تجعله يعدل عن محاولة اقتناص الطعم مهما كان درجة الإغراء، كي لا يقع في الفخ، ويؤتى

من ذات الجحر مرتين، بل وأيضا يقوم بطرد كل الطيور التي تقترب من الطعم بدخوله في معارك معها، ولكن مع ازدياد الجوع وطول الوقت والمعاناة والتركيع يدب الوهن بذاكرته، فيقترب ويبدأ رقصته المعهودة ويظن الصياد أن الطائر المقطعي قد عاد ليرقص ثم يرحل، لكنه يفاجئه بسقوطه بنفس الفخ متناسيا كل معاناته السابقة، أمام جوعه الحالي يعود مستسلما لقدره من جديد فريسة للصياد فيا لها من نهاية (نهاية الطير المقطعي).

ومن قال ان للطيور ذاكرة.. تبا للمعاناة والنسيان.. وقاتل الله الطمع والجهل!!!

نهاية رجل غبي

أعطاه الله بسطة في القوة، ولكن؛ عقل صغير، أخذته العزة بالإثم، فكان حل كل المشاكل لديه باستخدام العضلات، يركل هذا فيسقطه، ويضرب هذا فيعوره، وإذا قيل له لا، أصبح كالثور الأهوج في غابة من الصلصال، يعفس بقدميه كل الذي أمامه.

عجز وحار ذو الالباب في حل عقدته، فما كان من بعضهم ألا مهادنته، ومنهم من غض الطرف عن تصرفاته، وكان شعار الكثيرين (اخطى راسي وقص)، وهكذا استمرأ الظلم ولم يجد من يقول له لا.

ومرت الأيام كئيبة ثقيلة، الكل يخرج من منزله ويدعو الله ألا يضعه في طريق هذا الغشوم، حتى أذن الله لذلك الصنم ان ينهار وأصيب بداء السكري، وتدهورت صحته

بسرعة مذهلة، أصبح شبحاً، هيكل عظمى يتحرك، غاصت العيون في محاجرها، وتهدمت الأسنان حتى لم يبق منها شيء يمكن ان يساعده على المضغ، أصبح يموت جزء جزء، وتأكله الغرغرينا والبتر عضوا عضوا.

وفى يوم فاحت من بيته رائحة كريهة، إيذانا بانتهاء هذا الغبي الذي أعطاه الله القوة فتبطر بها، تنفس الناس الصعداء وبدأت تدب في المدينة الحياة بطعم جديد.

هدرب

رجل طاعن في السن منذ أن عرفناه في شوارع وأزقة مرزق، هو هكذا! وجه متغضن صدغ ناتئ، جمجمة مرسومة بكل تفاصيلها، وأيدي يلتصق فيها الجلد على العظم لتبدو عروقها واضحة عرقا عرقا.

يحمل على كتفه الأيسر مخلاة، هي عبارة عن قربة من الخيش، قديمة لا تصلح لرفع الماء لتعدد الثقوب بها، ينتعل مداسا من سعف النخيل، يجددها كلما تآكلت، يخرج في الصباح ليجول معظم شوارع المنطقة، تجده في كل مكان! ويعود قريبا من الظهر، وقد امتلت المخلاة بمختلف أنواع الطعام وبعض النقود في جيبه.

في طريق عودته نحو المنزل، يمر بالسوق يشترى زجاجتين من البيبسي، واحدة له وأخرى لزوجته الطاعنة في السن

أيضا، والتي تقاسمه العيش في كوخ من الزرب1، قريبا من باب قمقم حيث الطريق للكاف.

كان "هدرب" يشتهر بمقولته التي يرددها دائما عندما يتقصد أهل المنطقة عن سؤاله (هدرب ما زاد خبر)، فيجيب إجابته المعهودة (لا! ما زاد خبر، غير الدولة قالوا قريب توصل)، لقد وصلت الدولة ولكن ما حدث لذلك الرجل هي ربما حالة من الفصام من هول ما رأه عندما سقطت الدولة المركزية، وانهار كل شيء على رؤوس الناس، فكانت حصة هذا الرجل أن فقد جزء من عقله وظل يردد هذه العبارة، ولم يدرك حتى وصول الدولة الجديدة المتمثلة في المحتل الإيطالي، وظل يردد انه (ما زد خبر غير الدولة قريب توصل)، فهل فعلا ستصل الدولة العتيدة يا "هدرب" أم يسبقها الاستعمار؟

1- الزرب: جريد النخيل.

هروب 2

خرج من المنزل وفكرتان تتجاذبان خطواته، إحداهما تشده باتجاه مدرسة الرأس، والأخرى باتجاه بحيرة داقرو، وعندما أصبح محاذيا للزاوية السنوسية، انعطف باتجاهها ذاهبا إلى الحنفية، بجانب الزاوية وضع يديه تحت الماء، بارد في البداية، فتح الصنبور عن أخره وترك المياه تنساب باتجاه شجرة الكرنة التي نبتت لوحدها هناك، وضع يده لكي يتأكد من إن الماء البارد جدا قد انتهى، بدء الماء دافئ شرب حتى امتلأت بطنه، حتى تضلع، وهو مدرك أنه لا شراب حتى نهاية اليوم الدراسي، انعطف خلف الزاوية، وخرج خارج السور باتجاه نخيل السبعة المتشابك، ثم من هناك إلى حيث رمال داقرو بعد البحيرة.

لقد كان خوفه من المدرسة ومن معلم الحساب خصوصا أكبر من خوفه من أمه وأبيه، عند نهاية اليوم الدراسي واكتشاف أمر غيابه، أخرج عود ثقاب من جيبه وقشرة انتزعها من علبة كبريت، ليته كان كبريتا من نوع الشمع، فهو لا يحتاج إلى قشرة ليشتعل، بل كان سيفعل كما على أغلفة المجلات وهو يرى الكاوبوى يشعلون الثقاب أسفل أحذيتهم.

بداء محاولة إشعال النار ولكن عيدان الكبريت تتفتت الواحد تلوا الأخر دون فائدة، بقي معه عود ثقاب واحد، ذهب صوب النخلة، انتزع قطعة من الليف فركها حتى أصبحت طرية مفتتة، ثم حاول استكشاف اتجاه الريح، أخذ قليلا من الرمال ونثرها متأكدا من اتجاه الريح، جثى على ركبتيه من ذاك الاتجاه لكي يقي عود الثقاب الهواء بجسده النحيل، أشعل آخر عود ثقاب وبيد مرتعشة من البرد وضعه على قطعة الليف التي كانت كأنها مادة قابلة للاشتعال، فشبت النار، وضع عليها العيدان و القش، وبدأ الدفء يسرى في يديه تم في أنحاء جسده.

التحق به ثلاثة من الهاربين من جحيم العصا، جذبهم الدخان المتصاعد وفيما هم يتحلقون حول النار سمعوا صوت سيارة تقترب من المكان، وقبل أن يتبينوا الأمر انفتحت أبواب السيارة وقفز عدد من المدرسين وبدأت المطاردة في غابة النخيل، مرورا بحي الزوية، افترقوا كلا أخذ اتجاه.

أحدهم وكان ضخم الجثة مقارنة بهم، ويلقب بـ(البطة)، تم القبض عليه وتم إعادته إلى المدرسة، أم الآخرين فكلا ذهب في اتجاه يبحث عن خلاصه، هو ظل يجري دون أن يلتفت ليعرف إن احدا يجرى خلفه أم انه قد توقف، ولكنه يحاول ألا تلامس قدميه الأرض وهو يفكر في الفلقة التي سوف تلهب قدميه لو تم الإمساك، به ناهيك عن التشهير به أمام التلاميذ، إنه هارب وتم القبض عليه في نخيل داقرو، لذلك لابد من الفرار وظل يجرى حتى وصل باب الخير، دخل من هناك باتجاه القلعة والمسجد العتيق والمبنى المجاور الذي كان يستخدم ملعبا لكرة القدم، وجد جدارا مهدما ارتمى خلفه وهو يكاد يغمى

عليه من شدة الإرهاق وعدم القدرة على التنفس، ظل زمنا يلهث، تتزاحم أنفاسه المتلاحقة، بدا فاقد الإحساس في أطرافه، والنجوم تتراقص أمام ناظريه و ضربات قلبه كأنها طبل قبيلة أفريقية تستنفر أبنائها لصد عدو يهاجم مضاربها، ثم بدأ يشعر بالهدوء قليلا ويدرك أين هو فقد قطع حي الزوية بالكامل، وهو ألان بالشريعة.

أخذ بحذر يتأمل المكان اكتشف أثار سيارة حديثة قد دخلت للمكان ثم التفت ورجعت من حيث أتت، أدرك أنهم قد بحثوا عنهم في هذا المكان، إذا هذا مكان آمن فهم لن يعودوا إليه، وهذا ما كان، ظل هناك حتى نهاية اليوم دخل إلى الجامع العتيق، تأمل في قبور السلاطين الأتراك، تم دخل إلى داخل المسجد تأمل أقوسه، صعد إلى المئذنة ثم نحو القلعة؛ قلعة مرزق، مئات الأسئلة؛ من بناها؟ من كان يسكنها؟ هذا ما جعله يبحث، ليعرف فيما بعد إن هذه القلعة والتي تقع جنوب غرب مرزق وهي مقر السلطان محاطة بسور لحمايتها، يضم في داخله المسجد العتيق، بنيت في بداية القرن الخامس

عشر الميلادي على تلة، وقد بناها "أمحمد الفاسي" أحد سلاطين دولة أولاد أمحمد، عندما اتخذوا مرزق عاصمة لدولتهم، والتي شملت كل منطقة فزان. تتميز القلعة بضخامتها وخاصة بمقاييس ذلك الزمان، وهي أهم ما تبقى من مباني تاريخية بمرزق كانت القلعة مكونة من ثلاثة طوابق من الطوب تعاقب عليها سلاطين دولة أولاد أمحمد حتى سيطرة العهد العثماني الذي اتخذ القلعة مقر للقائمقام العثماني، حتى عهد "حليم بك"، ثم اتخذها الطليان مقر لجيوشهم الغازية حتى اكتمل بناء معسكرهم. ولا تزال هذه القلعة شامخة شاهدة على عصر غبر وغدا جمعة إجازة ويوم السبت، لكل حادث حديث...

فهرس المجموعة

كلمة	3
قوووول	7
آخر الليل	10
الأيام الخوالي	14
البَلادةُ اللذِيذة	17
الديك	19
المروءة بين الناس	21
النخلة	24
هروب 1	27
أم الرزق	30
تخريص	33

تدريب إجباري	36
حزام الأمان	38
حلم	41
خجل	43
خيول النوم الهاربة	45
دار الغولة	48
أحضر الموت إلى بيته	50
سلحفاة الوقت الهرمة	53
شتات العمر المبعثر	56
قامت العنقاء	59
قد نلدغ من جحر مرتين	61
لا شيء يدوم	65
مسرحية الحياة	68
نهاية الطير المقطعي	71

نهاية رجل غبي 73

هدرب 75

هروب 2 77

ولكن مرارة التجربة تجعله يعدل عن محاولة اقتناص الطعم مهما كان درجة الإغراء، كي لا يقع في الفخ، ويؤتى من ذات الجحر مرتين، بل وأيضا يقوم بطرد كل الطيور التي تقترب من الطعم بدخوله في معارك معها، ولكن مع ازدياد الجوع وطول الوقت والمعاناة والتركيع يدب الوهن بذاكرته، فيقترب ويبدأ رقصته المعهودة ويظن الصياد أن الطائر المقطعي قد عاد ليرقص ثم يرحل، لكنه يفاجئه بسقوطه بنفس الفخ متناسيا كل معاناته السابقة، أمام جوعه الحالي يعود مستسلما لقدره من جديد فريسة للصياد فيا لها من نهاية (نهاية الطير المقطعي).

قصة:
نهاية الطير المقطعي
رشاد علوه المهدي